مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : ...-..... Issn : 2353-043X
المجلد 07/ العـدد 01: (2020)، ص: 82- 96

المتكلّمون، بين حتمية الانفتاح الثّقافي وما حمله من تغيير فكري وعقدي، وبين الرفض والقبول في المجتمع

The speakers, between the inevitability of cultural openness and the intellectual and ideological change it brought with it, and between rejection and acceptance in society

الدكتورة صليحة بلخيري
جامعة العلوم الإسلامية (الجزائر)

يهدف هذا الموضوع إلى إبراز أهم النّقاط التي أدّت إلى تغيير نمط التّفكير العربي، واصطباغه بأفكار فلسفية منطقية دخيلة، غيّرت المفاهيم وعقّدت الأساليب، وأعطت للفكر حرية يمكن أن تخرج عن حيّز المقبول.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى اصطباغ الفكر العربي بألوان جديدة من العلوم التي لم تكن تعرف قديما عند العرب كالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي؛ هو عامل التّرجمة من الثقافات الأخرى إلى العربية، وخصوصا في العصر العباسي.

فيا ترى ما مدى تأثير هذا الانفتاح الثّقافي عن الأمم الأخرى في التّفكير العربي؟. وكيف تأثّر الدّين بذلك؟. ومن هي أهم الشخصيات البارزة في الترجمة ونقل تلك الثقافات إلى العرب؟ وكيف أولى العلماء أهمية لها؟ وكيف اختلط علم الكلام بالفلسفة؟ وماهي انعكاسات ذلك على المتكلّمين إيجابا وسلبا؟. كل ذلك ستتم الإجابة عنه في هذا البحث المختصر.

الكلمات المفتاحية: التفكير العربي، الفلسفة والمنطق اليوناني، الترجمة من السريانية إلى العربية، علم الكلام.....

ABSTRACT:

المتكلّمون، بين حتمية الانفتاح الثّقافي وما حمله من تغيير فكري وعقدي، وبين الرفض والقبول في المجتمع

This topic aims to highlight the most important points that led to the change of the Arab thinking pattern, and its coloration with extraneous logical philosophical ideas, which changed concepts and complicated methods, and gave thought to freedom that could be outside the realm of acceptable.

One of the most important factors that led to the pigmentation of Arab thought with new colors from the sciences that were not known in the past to the Arabs, such as Greek philosophy and Aristotelian logic. It is the translation factor from other cultures into Arabic, especially in the Abbasid era.

So what is the effect of this cultural openness on other nations on Arab thinking ?, and how was religion affected by that ?, Who are the most prominent figures in translation and the transfer of those cultures to the Arabs ?, and how did scholars have given importance to them ?, And how did the science of theology mix with philosophy? What are the implications for the speakers, positive and negative? All of this will be answered in this brief search.

Key words: Arabic thinking, Greek philosophy and logic, translation from Syriac into Arabic, theology .....

المؤلف المرسل: صليحة بلخيري

ارتبط اتساع حركة الترجمة عن الثقافات الأخرى بالعصر العباسي، الذي يلمس فيه المتتبع لتطور الحركة الثقافية اختلافا واضحا في درجة الاهتمام بالعلم وتحصيله من خليفة لآخر، فمثلا أبو جعفر المنصور منذ بداية توليه الحكم أبدى اهتماما واضحا بالعلم؛ من خلال تشجيعه لمختلف الحركات العلمية، كما أنه كان ميّالا للتّنجيم والطّب وكل ضروب الفلسفة .

وحسب ما ورد في بعض المصادر التاريخية بخصوص التّرجمة عن الثقافات الأخرى؛ فإنهم يعتبرون عبد الله بن المقفع(ت146هـ) من الأوائل الذين قاموا

بالتّرجمة من المنطق اليوناني إلى العربية وذلك عن طريق الفرس ثم تولى الترجمة من بعده النّصارى من النّساطرة[1]،واليعاقبة[2] من السّريانية[3] إلى العربية.

وبهذا؛ فانتشار الفلسفة بين المسلمين كان عن طريق المدارس السريانيَّة، التي ظهرت في مصر ثم انتشرت أفكارها عبر أقطار المسلمين، وخصوصا العراق؛ لأن: " السّريانيين كانوا منتشرين في أرض العراق قبل الفتح، ولهم مدارس يدرّسون فيها الآداب اليونانية"[4]؛ فلسّريان مكانة هامّة بالنّسبة لمعرفة المسلمين بمؤلفات وكتابات الحضارات الأخرى، خاصة الحضارة اليونانية.

وعليه؛ فاتساع حركة التّرجمة قد أدى إلى اصطباغ الفكر العربي بألوان جديدة من العلوم التي لم تكن تعرف قديما عند العرب كالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي.

وأما بالنّسبة لبداية النّهضة العلمية فقد كانت في عهد المنصور، واستمرت في النّمو والازدياد إلى عهد هارون الرشيد، الذي شجَّع الحركات العلمية والأدبية، وبلغ العلم في عهده مبلغا كبيرا حيث "صارت بغداد مقصد العلماء والفقهاء وطلاّب العلم من كلّ ناحية، فقد كانت بمثابة الجامعة لطلاب العلوم الدّينية والعربية، ولم تكن أبدا بمنأى عن العلوم الحديثة كالطب والهندسة ... ولم يكن لها منافس أنداك إلاّ المدينة حيث الصحابة والتّابعين " [5].

---

[1]-النّساطرة: نسبة إلى نسطور، الذي ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي، وقد كان له مذهب خاص في طبيعة المسيح. وأصل النّساطرة من بني آشور. ينظر: الشهرستاني،الملل والنحل، تحقيق:أمير علي مهنا،وعلي حسن فاعود، دار المعرفة- بيروت،لبنان – ط6، 1417هـ،1997 م. 2/ 268.

[2]- اليعاقبة: نسبة إلى يعقوب البرذعاني،الذي قال بأن المسيح وحدة طبيعية واحدة غير قابلة للتجزئة،وقد انتشر مذهبه في البلاد الشرقية. ينظر:الشهرستاني،المصدر نفسه،1/ 270 .

[3]-السّريانية: لهجة آرامية مسيحية، انتشرت في الشرق الأوسط،وآسيا الوسطى، وجنوب الهند. ينظر: دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تعليق محمد عبد الهادي أبو ريدة،دار النهضة العربية، ط 3 ،1954 ،ص 31.

[4]- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق:حياة بوعلوان، دار الطليعة بيروت- لبنان،ط1 ،1985م. ص 70 .

[5]- محمد السيد الوكيل، العصر الذهبي للدولة العباسية، دار القلم، دمشق- الدار الشامية- بيروت، ط1 ،1418هـ ،1998م، ص292.

المتكلّمون، بين حتمية الانفتاح الثّقافي وما حمله من تغيير فكري وعقدي، وبين الرفض والقبول في المجتمع

وقد تبعه ابنه المأمون في تشجيعه لنموّ الحركة العلمية وبذله للأموال والعطايا لأهل العلم، وقد عُرف بحبه للمعتزلة وتبنيه لأفكارهم ومعتقداتهم، وخصوصا في مسألة " خلق القرآن التي أرغم النَّاس على قبولها سنة 218هـ "[6].

وقد ظلت الترجمات مشتتة حتى قام المأمون بإنشاء «بيت الحكمة» في بغداد سنة 217هـ فترجمت الكتب الفلسفية اليونانية إلى السّريانية والعربية، ومن أهم ما ترجم كان لأفلاطون وأرسطو، إضافةً إلى ترجمة كتب الأخرى؛ مثل: كتاب البرهان، وكتاب الأخلاق لغالينوس. وفي تلك الحقبة نقل الجزء الأكبر من التراث اليوناني في الفلسفة والطب والعلوم إما عن اليونانية مباشرة أو عن السريانية.

ولم تنحصر التّرجمة عن التراث اليوناني، بل امتدت إلى غيره كالتراث الفارسي والهندي، وتركزت في مجالي الطّب والمعتقدات الدينية، لكن التعريب كان في توجهه الأكبر نحو الإرث اليوناني.

ولأن الحكم العباسي قد اختلف عن الحكم الأموي من حيث تقريبه للأعاجم من بلاط الحكم؛ فأدى ذلك إلى تغيير الأوضاع وإتاحة الفرصة للأعاجم لنشر ثقافاتهم وانعكاسها حتى على اللغة وفي هذا يقول أحمد أمين: "فبانقضاء الدولة الأموية وهي بقية العهد العربي أقبل العبّاسيون على اتخاذ البطانة من الفرس والدّيلم...وهم الذين كانت لهم اليد في بث العلوم واتخاذ المترجمين ونقل الكتب الفارسية والهندية واليونانية، فابتدأت من ثم صنعة التعريب وداخلت اللغة كلمات كثيرة من مصطلحات العلوم"[7].

6- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت – لبنان،ط3، 1417 هـ،1997م. ص 364.

[7]- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان-ط10 (د ت ن). 2/ 248.

وبخصوص مرحلة الترجمة عند المسلمين فإنها قد مرّت بثلاث مراحل:"مرحلة النّقل، فمرحلة النّقل والشّرح والتعليق، ثم مرحلة الإشارة والاستقلال، حيث زاد العرب على ما ترجموه وابتدعوا أشياء كثيرة عرفوا بها في العالم "[8].

ومن أكثر الثّقافات تأثرا بها، الثّقافة اليونانيّة من منطق وفلسفة، إلاّ أنّ المسلمين قد استخدموا ما أخذوا منها استخداما صالحا، وأخذوا منها ما أخذوا ثم بنوا عليه وزادوا فيه، ولم يكن موقفهم موقف النّاقل فحسب بل أخذوا بعين الاعتبار التعاليم الإسلامية والثقافة العربية .

ولأنّ علم الفلسفة وعلم المنطق من العلوم التجريبية، التي تعتمد على العقل في الوصول إلى الحقيقة فهما يندرجان ضمن النّوع الأول من العلوم التي عبّر عنها ابن خلدون بقوله:" إن العلوم صنفان: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه"[9].

فالعلوم إذا إمّا نقلية وإمّا عقلية، ومنهج البحث والتأليف فيهما يختلف من علم لآخر، فالأولى تعتمد على الرّواية وصحة السّند والثانيّة تعتمد على معقولية الحقائق.

والعلم الأول قد مثله أصحاب الحديث الذين قصروا اتجاههم على التّحقق من صحة النقل ولم يحكموا كثيرا مقياس العقل. أما العلم الثاني فمثله علماء الكلام الذين بحثوا في أصول الدّين وأطلقوا لعقولهم حرية التفكير فكانت لهم آراء تختلف عن آراء أهل الحديث.

[8]- علي شليق، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، دار العلم للملايين،ط1/ 1991. 1 / 62.

[9]- ابن خلدون، المقدمة، ص 441.

المتكلّمون، بين حتمية الانفتاح الثّقافي وما حمله من تغيير فكري وعقدي، وبين الرفض والقبول في المجتمع

علم الكلام الظهور والنشأة:

نجد أن البعض يخلط بين علم الكلام وبين الفلسفة بشكل عام، وبينه وبين الفلسفة الإسلاميّة بشكل خاص. ونجد أنّ هناك من يفكر في مبحث فلسفة الدّين من خلال علم الكلام. كما أن البعض يعتبر علم الكلام علماً إسلامياً خالصاً ويغفل على أن المسيحيّة عرفت علم العقائد الذي سمّي عندها باللاّهوت.

ورد في لسان العرب أن هذا العلم منسوب إلى الكلام، وجمع الكلام كلمة، وهو عبارة عن جمل مركّبة تتألف من أصوات منطوقة على هيئة حروف تشير إلى دلالة ومعنى[10].

واصطلاحا: عرّفه الفارابي بقوله:" إنّه صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[11].

وعرّفه ابن خلدون بأنه:" علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرّد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السّلف وأهل السّنة"[12].

ومن خلال التعريفين نلاحظ أن علم الكلام يقوم على نصرة العقيدة الإسلامية، والرد على كل الطاعنين المشككين في الدين الإسلامي.

وما من شك أن الاختلافات الفكرية والعقدية التي ظهرت بين المسلمين قد مهّدت إلى ظهور الفرق والمذاهب، والتيارات، والاتجاهات، الفكرية في العقيدة الإسلامية، ويعتبر مذهب الاعتزال من أكبر وأضخم المذاهب الفكرية الفلسفية التي عرفها التاريخ الإسلامي.

---

[10]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت- لبنان، 1417هـ، 1997م، 12/ 522.

[11]- الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق:عثمان أمين، دار الفكر العربي-مصر- ط2، 1949م. ص 107، 108.

[12]- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة ،ط1، 1426هـ،2006م. ص 467.

وينبغي أن ننوه إلى حقيقة مفادها أن علم الكلام لم يكن معروفا بالشّكل المتعارف عليه حاليا، بل كانت مواضيعه متعلقة بعلم أصول الفقه قديما، وكـــانت مباحثه مندرجة في مباحث الفقه.

وقد ظهرت هذه التسمية بمعناها الحالي في عصر المأمون (198هـ-218هـ)، وسببها يرجع إمّا:"لأن أظهر مسألة تكلّموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام(كلام الله)، وإمّا لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنّا من فنون علمهم بالمنطق، والكلام مترادفان "[13].

ثم انتقل لفظ "علم الكلام" من استعماله في الدّلالة على المقالة المفردة إلى استعماله في الدلالة على مذاهب المتكلمين...وأحسن عبارة تدلّ على علم الكلام هي:" الجدل في المسائل الاعتقادية (Theologishe dialektik) "[14].

أمّا بالنسبة لمحور بحث علم الكلام فهو:"ذات الله تعالى إذ يبحث في عوارضه الذّاتية التي هي صفاته وأفعاله إما في الدّنيا كحدوث العالم، وإمّا في الآخرة كالحشر... "[15].

ومن خلال ما ذكر يمكن أن نستخلص أن علم الكلام يقوم على إثبات العقيدة الدّينية عن طريق الأدلة العقلية للرد على الخصم بطريقة منطقية جدلية.

ولعلّه في بداية اختلاف المسلمين حول الإمامة (الخلافة) لم يستطع الذين تشيعوا لعلّي وكانوا قليلين آنذاك أن يحرّكوا ساكنا، وذلك بعد اختيار أبي بكر ومن بعده عمر، لكن الأمر اختلف بعد مقتل عثمان إذ نجد أن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذه المرة بأكثر حدة، فقد كثرت الفتن بين المسلمين، فمنهم من طلب الثأر لعثمان

---

[13]- الشهرستاني، الملل والنحل،1/ 41.

[14]- دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ،نقل إلى العربية وتعليق: محمد عبد الهادي، دار النهضة العربية،ط3، 1374هـ،1954م. ص85.

[15]- علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية، مكتبة وهبة-القاهرة- ط2، 1415هـ ،1995م. ص14.

كمعاوية بن أبي سفيان، ومنهم من خرج على عليّ كطلحة والزبير وعائشة، ومنهم من قال إن الخلافة من حق عليّ وحده ولآل بيته.

وحسب بعض المصادر التاريخية فإن التّشيع الحقيقي بدأ بعد:"موقعة كربلاء (61هـ) والتي قتل فيها الحسين،ومن ثم بدأ المتشيعون في تأسيس إيديولوجية فلسفية تقوم على عدة نظريات منها (التأويل الباطني للقرآن، ونظرية عصمة الإمام والقول بالرَّجعة والمهدي المنتظر...). وكل هذه النظريات غريبة عن روح الإسلام وتعاليمه وقد وقع فيها الشيعة تحت تأثير الديانات الأخرى كالمسيحية واليهودية... "[16].

تطور العلاقة بين علم الكلام والفلسفة:

يعتبر عامل الفتوحات وما نتج عنه من اختلاط في الثقافات، وخصوصا فيما يتعلّق بالمسائل الدّينية كاليهودية والنّصرانية والمانوية...ومحاولة إلباسها لباس الإسلام، سببا رئيسيا في كثرة الجدل بين المسلمين؛ فمنذ أواخر المنتصف الأول للقرن الأول، أخذت بُنية المجتمع الإسلامي في التّغير، بفعل الأجناس المختلفة التي دخلت إلى الإسلام وهي تحمل معها ألوانا من حضارتها الأصلية، وطرائق تفكيرها، وأساليب جدلها الدّيني.

وكذلك محاولة الدّفاع عن الدّين بنفس طريقة المهاجم؛ مما دفع ببعض الفرق الكلامية إلى تعلّم المنطق والفلسفة، كالمعتزلة مثلا، فهم قد تسلّحوا بسلاح الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وأساليب الجدال؛ فإنهم أدّوا دورا كبيرا وبارزا في الدّفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء المعتقدات والدّيانات الأخرى .

---

[16]- محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية بيروت، لبنان،(د ذ ط)و(د ت ن)، ص 126.وينظر: يحي هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،،دار الثقافة والتوزيع-القاهرة- ط3/ 2002 . ص 87.

وممّا يدعّم هذا أنّ الجاحظ قد اشترط وجوب معرفة المتكلّم للفلسفة حتى يوصف متكلّما فقال:" وليس يكون المتكلّم جامعا لأقطار الكلام، متمكنا في الصّناعة يصلح للرئاسة، حتى يكون الذي يحسن كلام الدّين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما"[17].

وقد ذكر التفتازاني في السياق ذاته أنه:" لما نقلت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة ...لولا اشتماله على السّمعيات "[18]،يعني بذلك بعض النّصوص من الآيات والأحاديث، وقد ورد هذا الكلام في معرض الحديث عن سلبيات علم الكلام، والأضرار التي حصلت نتيجة اختلاطه بالفلسفة، ولكن تبقى الحدود فاصلة بين علم الكلام والفلسفة، بحيث يختلف علم الكلام عن الفلسفة في أن الكلام خاص بدين معين فهو جدل يدور حول أصول دين بعينه، ولكن الفلسفة تبحث عن الحقيقة على وجه العموم، ومن حيث المنهج نجد أن الكلام يبدأ من مسلمات عقائدية يفترض صحتها أي أن المتكلم يبدأ من قاعدة معترف بها ثم يتلمس الطرق التي تؤدي إلى إثبات هذه القاعدة، أما الفيلسوف فإنه يبدأ من درجة الصفر أي من قواعد المنطق الأساسية والمقدمات البديهية منها إلى النتائج مستخدما منهجا عقليا صرفا. رغم هذه التفرقة؛ فإن البعض يجعل الكلام والفلسفة متطابقان ومتحدان في الكثير من الموضوعات النظرية و العقلانية المحضة .

---

[17]- الجاحظ، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجليل(بيروت)، (د ذ ط)، 1416هـ، 1995م، 2/ 134.

[18]- سعد الدين التفتزاني ، العقائد النفيسة / نقلا عن تحريم النظر في كتب الكلام ، للإمام موفق الدين قدامة المقدسي، تحقيق محمد سعيد دمشقية ، دار عالم الكتب بالرياض /ط1990م-1410هـ.

المتكلّمون، بين حتمية الانفتاح الثّقافي وما حمله من تغيير فكري وعقدي، وبين الرفض والقبول في المجتمع

علم الكلام بين الرفض والقبول:

يعتبر علم الكلام أصلا لكل العلوم الدينية، ويذهب الإمام أبي حامد الغزالي إلى أن العلوم تنقسم إلى قسمين عقلية ودينية، وتنقسم كل من العلوم الدينية والعقلية إلى

علوم كلية وأخرى جزئية، ويحتل علم الكلام الصدارة بين العلوم الدينية[19].

هذا ولا يزال علم الكلام يحتل مكانة مهمة لارتباطه الوثيق بالعلوم الشرعية، ولتداخل مباحثه ببعض العلوم الأخرى خاصة مع ولادة العلوم الإنسانية.

وتعتبر المعتزلة وهي من أقوى المذاهب الكلامية، أكثر الصّفحات إشراقا وتألقا في تراثنا العربي الإسلامي، وقد تجلّت أصالتهم في أنهم قد التزموا بالعقل منهجا، والأخلاق نسقا، وكشف تفكيرهم عن اتساق لا تهافت فيه.

كما كان لهم الفضل في انتعاش الحركة العقلية في بلاد المسلمين رغم إسرافهم في ذلك، وقد بلغ تأثيرهم حتى على أهل السّنة من خلال أبي الحسن الأشعري(ت 243هـ)، الذي نقل دعائم التفكير العقلي لأهل السنة .

أمّا بالنسبة لقبول علم الكلام أو رفضه فقد انقسم العلماء إلى مؤيد وآخر رافض له، ويرى بعدم ضرورته داخل المجتمع. وهؤلاء الرافضون للخوض فيه والاشتغال به؛ معتبرين إياه مدخلا للكفر، ومضيعة للوقت، وقد كان لموقفهم هذا، تداعيات سلبية في عصرنا الحالي على فئات عريضة من المجتمع، فظهرت أحكام غير منصفة لهذا العلم الذي اعتبره علماؤنا أصلا لكل العلوم الدينية.

واستنادا لوقائع تاريخية، لاشك أن نتائج عملية تقييم المنجز الكلامي واستيعابه، ستفضي بنا إلى ضرورة وأهمية تجديد علم الكلام والعمل على إحياء جوانب

[19]- أبو حامد الغزالي، المستصفى، دار الكتب العلمية بيروت(لبنان)، 1/ 6.

القوة فيه، طالما أن التحديات التي تستهدف العقيدة الإسلامية ما تزال مطروحة وقائمة.

وسنعرض بعضا من الأقوال المناهضة والرافضة لعلم الكلام فنجد أن بعضهم مارس الكلام وأدرك خطورته على الدّين فنصح بعدم استعماله؛ لأنه يفضي إلى ترك كتاب الله وسنة رسوله، وفي هذا يقول الغزالي (505/450هـ):" فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها ، فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو مجادلة مذمومة، وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيان تزدريها الطباع"[20].

والبعض الآخر رأى أنه لم تعد الحاجة قائمة لعلم الكلام؛ لأن بواعثه ونشأته ارتبطت بموضوعات ومباحث زالت في عصرهم، يقول ابن خلدون:" أن هذا العلم، غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملاحدة والمبتدعة، قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا"[21]. كما نجد أحد العلماء عاب على منهج علم الكلام القائم على الجدل؛ فهو لا يوصل إلى المعرفة اليقينية. يقول الامام الشافعي- رحمه الله -: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام"[22].

وربما أن هذه المناهضة الشّديدة لعلم الكلام من قطاع كبير من علماء السّلف لها ما يبررها في زمانها، ولعل أهمها هو سوء استخدام المتكلّمين للجدل الذي أفضى إلى ظهور نزعة التكفير والفتنة والفرقة. غير أن هذا الانحراف كان من

---

[20]- الغزالي، إحياء علوم الدين ، 1/ 22. الفقرة تحت عنوان : العلم المحمود والمذموم

[21]- ابن خلدون، المقدمة، ص108.

[22]-ابن قدامة المقدسي، تحريم النظر في كتب الكلام للإمام ، تحقيق سعيد دمشقي، ص18-19، دار عالم الكتب الرياض، ط1/ 1410-1990. 13/ 350.

المتكلّمون، بين حتمية الانفتاح الثّقافي وما حمله من تغيير فكري وعقدي، وبين الرفض والقبول في المجتمع

الأجدر أن يواجه في حينه ليصحح مسار هذا العلم الضروري للمسلم، عوض رفضه بشكل مطلق. وحسبنا في هذا الصدد أن ندرج قول العلامة سعد الدين التفتزاني [23] وما نقل عن بعض السّلف من الطعن فيه، والمنع عنه؛ فإنما هو المتعصب في الدّين، والقاصد إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، و إلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات، وأساس المشروعات .

فمناهضة علم الكلام قديما، لم تكن لتسري على جميع العلماء المسلمين وإنما نجد فريقا منهم أيّد الاشتغال بعلم الكلام، ورأوا ضرورة النّظر في أصول الدّين وإثباتها بالعقل، ومن هؤلاء نجد الماتريدي الذي استهل كتابه التّوحيد ببيان أن سبيل معرفة الدّين تتم بالنظر بجانب العقل، ونجد للأشعري كتاب "استحسان الخوض في علم الكلام" يبين فيه ضرورة النظر في الدين، ومن بعده الأشاعرة أمثال الباقلاني و الجويني والقاضي عبد الجبار (...) و لقد قدم هؤلاء العلماء المؤيدين لعلم الكلام أدلة نقلية، وعقلية منها[24]: ما ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع في الحث على النظر وإقامة البرهان والدليل كقوله تعالى: " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "(المجادلة:6)، فدرجات العلم عندهم تكمن في نبذ التقليد بايضاح الحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة. كما أنه يعد أساسا يبنى عليه العلوم الشرعية، وإليه يؤول أخذا واقتباسا .

وبالإضافة إلى فريق المناهضين والمؤيدين. نجد فريقا توسط بين المعارضة المطلقة، والتأييد المطلق لعلم الكلام، وهؤلاء يميزون بين موضوعات علم الكلام،

---

[23]- التفتزاني، شرح العقائد النسفية: تح، أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ط1 بمصر 1407ه/1987م. ص 12.

[24]- علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة / مكتبة وهبة، ط1، 1407-1986، ص107-108، بتصرف.

فمنه الكلام المحمود ومنه الكلام المـــذموم. وأيضا من حيث المشتغلين به والممنوعين من الاشتغال به؛ أي أن علم الكلام مباح عند الحاجة إليه في إزالة الشكوك في أصول العقائد، ويكون مذموما حينما يكون الكلام مخالفا للكتاب والسنة[25].

الخاتمة:

بعد هذه النظرة المستفيضة، أختم مقالي هذا وأقول: بأن العوامل التي أدت إلى نشأة علم الكلام، والفترة الزاهرة له قد اتسمت بالواقعية سواء في منهجه أو تطوره ومواكبته للأحداث والمستجدات، فمنذ ظهوره ظل في الرّيادة، إلى أن أصابه الانحسار بعد القرن الخامس كما أصاب الفكر الإسلامي عموما. وقد يظن مناهضوا هذا العلم بأن أهميته في حياتنا المعاصرة، هو بعث من جديد للصراعات بين الفرق، وإحياء للمشكلات الكلامية. ويظنون كذلك بأن هذا العلم قد استنفذ غرضه تعريفا وموضوعا. ويرددون كما ذكر ابن خلدون أن الملاحدة لم يعد لهم وجود، و بالتالي فعلم الكلام لم تعد الحاجة قائمة إليه.

ومما لاشك فيه أن الحاجة إليه أصبحت ضرورة كبيرة، فالإلحاد ما زال قائما ولكن في ثوب جديد هو العلم بالفلسفات الحديثة التي أصبحت تنافي المقولات الدينية وتطرح شكوكا حول الدين، وتحولت إلى تحديات حضارية وسياسية تواجه المسلمين، تحتاج منا أن ندحضها ونفندها بالحجة والبرهان .

[25]-علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية، ص113.

المصادر والمراجع:

1- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان-ط10 (د ت ن).

2- التفتزاني، شرح العقائد النسفية: تح، أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية ط1 بمصر

1407هـ/1987م.

3- الجاحظ، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجليل(بيروت)، (د ذ ط)، 1416هـ،1995م.

4- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت – لبنان،ط3، 1417 هـ،1997م.

5-ابن خلدون، المقدمة،(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،دار الفكر للطباعة ،ط1، 1426هـ،2006م.

6- دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تعليق محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، ط 3 ،.1954

7- الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق :أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعود، دار المعرفة- بيروت، لبنان – ط6، 1417هـ،1997 م.

8- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق: حياة بوعلوان، دار الطليعة بيروت- لبنان،ط1 ،1985م.

9- عباس محمد حسن سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية 1998.

10- علي الشابي، مباحث في علم الكلام والفلسفة، دار المدار الإسلامي،(م د ط)،ط.2002

11- علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية، مكتبة وهبة-القاهرة- ط2، 1415هـ،1995م.

12- علي شليق، مراحل تطور النثر العربي في نماذجه، العلم للملايين،ط1/ .1991

13- الغزالي أبو حامد ، المستصفى، دار الكتب العلمية بيروت(لبنان). دار صادر (مصر)، ط1، 1322هـ. دار

14- الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار الكتب العلمية بيروت(لبنان).

15- فالح الرّبيعي، تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، الدار الثقافية - القاهرة - ط1، 1421هـ،2001م.

16- الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق وتعليق: عثمان أمين، دار الفكر العربي- مصر- ط2، 1949م.

17- ابن قدامة المقدسي، تحريم النظر في كتب الكلام للإمام ، تحقيق سعيد دمشقي.19، دار عالم الكتب الرياض، ط1/ 1410-.1990

18- ابن كثير، البداية والنهاية، توثيق: عبد الرحمان اللادقي، محمد غازي بيضون، دار المعرفة -بيروت، لبنان- ط5 ،1420 هـ،1999م.

19- محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية بيروت، لبنان،(د ذ ط)و (د ت ن).

20- محمد السيد الوكيل، العصر الذهبي للدولة العباسية، دار القلم ، دمشق- الدار الشامية- بيروت، ط1 ،1418هـ ،1998م.

21- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت- لبنان، 1417هـ، 1997م.

22- ابن النديم، الفهرست، شرح وتعليق: يوسف علي الطويل، وضع الفهارس: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان- ط1، 1416هـ، 1996م.

23- يحي هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،،دار الثقافة والتوزيع-القاهرة- ط3/ 2000